اللغة العربية ووسائل الإعلام

بقلم الأستاذ حسن محمد الهرساني

اللغة العربية :

أصبحت اللغة العربية بخصائصها ومزاياها وجمهورها الكبير — من أهم اللغات العالمية، وأضحت لها مكانة بارزة في عالمنا المتحضر، سواء في مجال دراستها، أو في مجال كثرة المشتغلين بها، أو في مجال، إقرار التخاطب بها في العديد من المحافل الدولية في معظم أنحاء المعمورة.

لقد كرم الله تعالى هذه اللغة بأن جعلها لغة كتابه الكريم الذي تكفل بصيانته بقوله جل شأنه: (إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون)، وما دامت لغة القرآن هي العربية فإنها ستظل — بإذن الله — مصونة عزيزة، تمتنع على الهرم، وتتألق ماطال بها الزمن، وتثبت على مر العصور والأجيال.

والمجال ليس مجال إبراز هذه اللغة، والحديث عن سمو مكانها فذلك لون من الحديث المكرور، والكلام المعاد.. وقد ألفت في هذه اللغة آلاف الكتب، واشبعت درساً وبحثاً، ولو أراد باحث أن يستقرئ ماكتب في هذا الشأن لأعياه البحث وأعجزه التقصي. وليس معنى هذا أن هذه اللغة السمحة لم تعد في حاجة إلى المزيد من تعمق الباحثين ودرس الدارسين، والتغلغل في فهم أسرارها واكتناه دخائلها والوصول إلى جوهر فلسفتها، بل على العكس هي في أمس الحاجة إلى ذلك، لاسيما وهي تواجه تحـدياً كبيراً في عصرنا الراهن من تسرب العجمة إلى أبنائها، ومن ثم فقد أنشئت الكليات المتخصصة لتخدم مقاصد هذه اللغة وظهرت المجامع العتيدة لتطويرها حتى تتبوأ مكانتها اللائقة بها في الذيوع والانتشار في كافة المجتمعات باعتبارها أم اللغات، وأكثرها فضلا وأوسعها متناً، وأشملها استيعاباً.

إلا أن هذه اللغة رغم الدراسات المستفيضة في سبيل تدريسها وتيسيرها فهي صعب، شموس لاينقاد حرانها، ولا يلين نفورها إلا لذوي الهمم العالية، والعزائم القادرة، والذكاء المتوهج، ومن هؤلاء علماؤنا الجهابذة الأوائل الذين كانوا مثلاً عليا في عبقرية الفكر، وسموق الهمم، وطموح النفوس، حتى بلغوا في الفهم والبصيرة وحسن الإدراك أبعد الغايات، وحققوا أسمى المطالب،

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدوره الخامسة والأربعين (جلسه الأربعاء غرة ربيع الآخر سنة ١٣٩٩ هـ، الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م).

ودانت لهم طرائق البحث ومناهجه حتى خلفوا لنا هذا التراث الزاهر الضخم ، ينبئ عن معاناة بالغة ، ويفصح عن جهد عتيد .

على أنه لاينبغى لنا أن نقول : (هل غادر القدماء من متردم) بل إن علينا إن نوقظ أبناء العربية المحدثين حتى يزيدوا فى البناء الشامخ ، ويبدؤوا حيث انتهى الأولون ، وينبغى أن نرصد الحوائز القيمة ، ونيسر الحوافز السخية لكل من توفر ويتوفر على تركيز جهده وتكريس وقته لخدمة العربية بصبر وحرص ، وإصرار ، وإيمان ، وأن نشيد بالأعمال التى بذلت وتبذل فى هذا السبيل ونحفظ لها مكانها الرفيع ، وأن نكرم أعلامها البررة على ماعملوا وعلى ماعانوا وصابروا وكابدوا . . حتى نحثهم بذلك على متابعة عملهم المرجو المشكور ونشجع الآخرين من أبناء الأمة العربية . . على النسج على منوالهم والسير على نهجهم .

إن اللغة العربية هى رابطة مقدسة كبرى لهذه الجماهير الكبيرة الناطقة بها ، وقد أصبحت كثير من الأمم الغريبة عنها تسعى لتعلمها والإلمام بها كى تفيد من مجالات الخ ومن ركائز الاقتصاد والثراء فى بعض مناطقها وبلاد الإنجليز فى الحاضر مثلا دليل واضح على ذلك .

ولأن اللغة العربية هى لغة القرآن فإن مجموعة الدول الإسلامية — من منطلق إسلامى — تحرص على تعلمها ليعود عليها ذلك بالنفع فى شؤون دينها .

ولايبعد عن الذهن أن اللغة العربية تملك من تعدد حروف الهجاء ما لاتملكه اللغات الأخرى كما أنها — بكثرة مترادفاتها وخصوبة معينها — من أطوع اللغات للنحت والاشتقاق ، وهذا ماساعد حديثاً على تعريب كثير من الصيغ والمسميات ، والمصطلحات الأجنبية ، وأثرى العربية ثراء كبيراً .

وإذا كانت دراسة العربية ليست بالأمر السهل وهذا مايلجأ إليه بعض خصومها فى مناوأتها فإن هذه الصعوبة واردة فى دراسة معظم اللغات الحية ولكن الصبر والجلد يذللان كل الصعوبات ويزيلان أكبر العوائق .

وسائل الاعلام :

عصرنا الحاضر هو عصر إبلاغ وإعلام ولذلك تعددت وسائل الأعلام فيه من صحافة ، وإذاعة ، وخطابة ، وتلفزة ، ومسرح ، وسينما ، وهى الوسائل المؤثرة فى الجماهير ، واللغة مع بعض العناصر... الأخرى هى أداة هذا الإعلام وسبيله إلى الوصول إلى جمهرة الناس والتأثير فيها سلباً أو ايجاباً ، وأخذاً أو عطاءً . . . وقد يعلو شأن أمة من الأمم على غيرها إذا كانت وسائل إعلامها أقوى وأبرز وطريقتها فى التأثير أذكى وأوعى .

فالأمة المعلمة تحسب فى طلائع الأمم رقياً ، إذا كان إعلامها مرتكزاً إلى حقائق دامغة وأسس ثابتة وإلا كان ضرره أكثر من نفعه وتشبه الأمة المعربة الخطيب المفوه والكاتب المبين اللذين يبينان عن حاجاتهما ومقاصدهما ببلاغة ويسر ، أما الأمة المعجمة فهى شبيهه بالعيي وبالأبكم اللذين هما كلف قبيح فى وجه مجتمعهما .

وقديماً قال الشاعر المخضرم النمر بن تولب مستعيذاً بالله من الحصر والعي :

أعذنى رب من حصر وعيٍّ
ومن نفس أعالجُها علاجا

ولا شك أن الأمم اليوم فى حاجة إلى تنشيط وتدعيم وسائل إعلامها فالإعلام الخبير يلقى أضواء ساطعة على ماضى الأمة وتراثها ، كما أنه يبرز الجوانب المشرقة من حاضرها ويبين ماهى عليه أو ماتصبوا إليه من عزة ومنعة ، أو من تطلع إلى مستقبل حافل يمثل الخير والحق والجمال .

وتلجأ الأمم إلى الإعلام مثلا فى جلب المنافع ، ودفع المضار بإبراز ماتملك فى نواحى العلم والفنون والثقافة والآثار أو ما منعته من ظواهر طبيعية تجذب إليها السائحين كما أنها تلمح — من طرف خفى — إلى ماتملكه من عناصر القوة والسطوة مما يخيف أعداءها ، ويجعلهم يحسبون الحساب الكبير لمحاولة الأضرار بها .

ولا شيء آبلغ تأثيراً من الإعلام الرشيد فى الدعاية إلى فكرة حسنة ، أو الحث على منهاج قويم .

كما لاشيء أسوأ من الإعلام المضلل الذى يقود إلى المزالق والمهالك وإذا كانت الإذاعة ، والتلفزة هما أحدث وسائل الإعلام فلا بأس من إفرادهما بإيضاح موجز .

(أ) الاذاعة :

تكاد تكون الإذاعة أولى وسائل التأثير فى جماهير الناس فهى من العوامل الهامة لتكوين رأى عام فى المجتمعات الإنسانية ذى أبعاد وأهداف ، وهى أداة فعالة لنشر الثقافة والإحساس بوحدة المسئولية وإيقاظ الوطنية وروح التعاون البشرى .

وبالنسبة لدعم انتشار اللغة العربية تكاد تكون الوسيلة الأم إذا أحسن استغلالها فهى من خلال العربية الفصحى يمكن أن توحد سائر اللهجات العربية وتصهرها فى بوتقة واحدة .

والإذاعة بطبيعتها ذات جمهور عريض وموصل ممتاز — كما تقدم — لمختلف نواحى المعرفة والأخبار والتسلية والترفيه وتعليم اللغات الحية ، وما إلى كل أولئك .

وكما أن لها حسناتها فإن لها بالتالى بعض العائب كاكتفاء المستمع بتلق سلبي دون المشاركة فى حركة الإبداع ، والهيمنة على

المستمع بقوة التأثير ، وفرض مواد إعلانية قد يتضايق لها السامع .

(ب) التلفزة :

أما التلفزة فتلتقى مع الإذاعة فى بعض خصائصها وتفترق عنها من حيث إن المرئى غير المسموع ، والغائب غير المشاهد ، فأنت فى الإذاعة تتخيل الصور ، أما فى التلفزة فتراها ماثلة عياناً ناطقة أمامك .

وتكاد التلفزة أن تكون امتداداً للمسرح :

كما أن الإذاعة تتيح قسطاً من الحرية للمتحدث فالكلام فى الإذاعة هو أكثر طبيعية ، أما التلفزة فتستدعى قسطاً من التوتر والاحتشاد والتكلف فى الحديث والهيئة .

كذلك فإن الممثل الإذاعى يمكنه أن يقرأ دوره من ورقة مكتوبة وهو يؤديه أما الممثل فى التلفزة فإن عليه أن يحفظه غيباً حينما يؤديه عبر الشاشة .

والتلفزة أكثر إراحة للمشاهد لأنها تجمع أمامه صور الأشياء دون حاجة إلى استعمال خياله وكده فى تصورها .

والتلفزة فى حد ذاتها أداة ذات خطر فقد جارت على كثير من وسائل الإعلام فسلبتها جانباً كبيراً من جماهيرها واغتصبت بعض خصوصياتها وهذه الوسائل هى الإذاعة والمسرح والصحافة والسينما .

وإذا كان الإعلان مضايقا فى الإذاعة فإنه فى التلفزة أقل مضايقة لاسيما إذا أبتعد عن التسلل خلال البرامج الشائقة وذلك لما يحتويه من لمحات جمالية فى الإخراج .

كيف تستفيد اللغة العربيةمنوسائلالاعلام:

إن الإفادة من وسائل الإعلام متعددة وتسخير هذه الوسائل لخدمة العربية أصبحت واجباً محتما إذا أردنا للغتنا سعة الانتشار وسرعته وهو مانهدف إليه جميعاً .

ومن الأسباب الفعالة إعداد برامج ثقافية عربية قوية بطريقة جد مشوقة وتقدم هدية للبلاد الأخرى لتعرض لديها فى قنوات الإذاعة والتلفزة .

وكذلك إعداد برامج موسعة لتعليم اللغة العربية يقوم بها متخصصون اكفاء . . تقدم هى الأخرى بطريق الإهداء .

ويمكن أيضاً إرسال بعوث من الإعلاميين العرب للمشاركة فى وسائل الإعلام الخارجية يشاركون بالجهد والمال فى إنشاء إذاعات باللغة العربية وتتكفل بلادهم بتأمين متطلباتهم الذاتية ولاشك أن وفادتهم ستلقى الترحيب الكامل من البلاد التى يوفدون إليها .

والوسائل عديدة لاستفادة العربية من الإعلام الحديث متى صدقت النيات وصلبت العزائم . ومن أهمها التزام العربية الفصحى وحدها .

خاتمة :

وخلاصة القول أن اللغة العربية بسعتها وشمولها ودقتها ، وروعة مفرداتها وجمال تراكيبها ومتانة بنائها أداة طيعة مرنة للإعلام تستوعب حاجته ولاتضيق بمطالبه ، وإذا أحسنا الأخذ بهذه الأداة فإن إعلامنا سيبلغ الأوج ، ويستولى على الأمر .

كما أن العربية يمكن أن تفيد بدورها من وسائل الإعلام انتشاراً وذيوعاً .

ولاشك أن من الواجب دائما مضاعفة العناية بتدريس اللغة العربية والتدقيق فى اختيار الإعلاميين من أبنائها من محاضرين إذاعيين وصحافيين وكتاب رواية وتمثيلية وقصة فما أضر قضايا اللغة العربية فى إعلامنا الحديث غير الاعتماد على قاصرى الأداة ومستصعبى السهل ، فهؤلاء من عوامل تعثر العربية ، وانحراف مسارها فى قنوات الإعلام الصحيح وهم بالتالى لن يفيدوا من خصوبة هذه اللغة ، ووفرة عطائها .

ومن المؤلم حقا أن يسيطر الكثيرون من هؤلاء المهازيل الكسالى على الأداء الإعلامى وتصبح أخطاؤهم وغلطاتهم مفردات وجملا سائدة مسيطرة على لغة الإعلام والمكتوب والمنطوق ، وبحكم التقادم فإنها تضحى أمثلة تحتذى بل إن بعضها قد أخذ طريقه إلى التداول والاستعمال ليس على مستوى الجماهير فحسب ولكن على مستوى بعض من يسمون بالخاصة .

إن من الضرورى انتقاء الأشخاص المشتغلين بالإعلام من العناصر الممتازة ذوى الكفاءة اللغوية وهم ولله الحمد كثر من متخرجى الكليات المتخصصة كما أن من الواجب متابعة الدرس والبحث فى جعل العربية أكثر مرونة وأيسر تلقيناً ، ولاشك أن علماء العربية المعاصرين مهتمون أوسع اهتمام بتذليل عقبات اللغة ، متفهمون روح هذا العصر العجلان الذى هو عصر (الشطيرة) كما هو عصر (الذرة) .

وأخيراً فإن الكسب المعنوى والمادى الذى تجنيه الأمة العربية داخلاً وخارجاً — من استعمال اللغة العربية فى وسائل الإعلام لا يقدر بثمن .

هذه خطرات بالغة الإيجاز ، مكتفية بالإشارة الخاطفة عن (اللغة العربية ووسائل الإعلام) والله أسأل أن يوفق شعوب هذه الأمة ، ودولها وحكوماتها إلى خير الطرق لخدمة لغتها ورصد كل غال فى سبيل رفعة شأنها وإعلاء مكانها .

حسن عبد الله القرشى
عضو المجمع المراسل من السعودية